



نظام الكرنطين وأثره على التجارة المتوسطية للجزائر خلال القرن 18م

Title in English: The Cuarentena system and its impact on the Mediterranean trade of Algeria during the 18th century.

رشيد حفيان (*)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية، فسنطينة، الجزائر

Hafiane Rach

ar.rachid@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2019/05/15 تاريخ القبول: 2020/02/23 تاريخ النشر: 2022/03/31

الملخص:

الجزائر كبلد متوسطي لم يسلم من بعض تأثيراته على غرار باقي الدول المتوسطية بالرغم من انقساماته السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية، باعتبار البحر المتوسط حيز قائم بذاته نسجت الروابط التجارية وحركة التجار بين مناطقه وأرجائه، ليُشكل بذلك وحدة اقتصادية عضوية تُأثر وتتأثر فيما بينها، ومن بين الأنظمة الحمائية المتبعة في هذا المجال المتوسطي نجد نظام الكرنطين الذي لعب دور الحزام الوقائي ضد مختلف الأمراض والأوبئة الآتية من الموانئ المتوسطية من أجل الحفاظ على سلامة البيئة الصحية لكل دولة، ومن هنا جاءت أهمية الموضوع كأرضية خصبة للبحث في ظل غياب الدراسات الجادة والمتعلقة بالمعرفة الطبية وتاريخ الأمراض التي بقيت محدودة جدا، كنمط جديد ظهر مع التطور الحاصل في الكتابات التاريخية الحديثة.

الكلمات الدالة:

الكرنطينة، البحر المتوسط، التجارة الخارجية، الجزائر العثمانية، القرن الثامن عشر

Abstract:

Algeria as a Mediterranean country, some of its influences, like the rest of the Mediterranean countries, have not been spared, despite its political, cultural, social and religious divisions. The Mediterranean is a self-contained space. The trade ties and the movement of traders between its regions and regions have created a socio-

(*) المؤلف المرسل



economic unit that is influenced and influenced by one another. In this Mediterranean area, we find the system of Krentina, which played the role of preventive belt against various diseases and epidemics coming from the Mediterranean ports in order to preserve the health of the healthy environment of each country, hence the importance of the subject as fertile ground for research under The absence of serious studies related to medical knowledge and the history of diseases, which remained very limited, as a new pattern emerged with the development of modern historical writings.

Key Words:

Cuarantena system, Mediterranean, foreign trade, Ottoman Algeria, 18th century.

مقدمة:

يرتبط ازدهار الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أية دولة أساسا بمدى الاستقرار الذي تعرفه بعيدا عن الاضطرابات السياسية والحروب والكوارث الطبيعية، باعتبار أن الأمن مهما كان نوعية سياسي أو غذائي أو صحي يُعد ركيزة أساسية للدول وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله: "أن حدوث العدوان على الناس في أموالهم يذهب الآمال، والتحصيل والاكتساب لما يرون أن غايتها ومصيرها (مصير الأموال)، انتهى من أيديهم وبالتالي كان السعي وراءها مستحيل⁽¹⁾، والجزائر كبلد متوسطي لم يسلم من بعض تأثيراته على غرار باقي الدول المتوسطية بالرغم من انقساماته السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية، هذا مايسميه بروديل بـ(اقتصاد-عالم) أي حيز قائم بذاته نسجت الروابط التجارية وحركات التبادل التجاري بين مناطقه وأرجائه وحدة اقتصادية عضوية"⁽²⁾، تأثر وتتأثر فيما بينها فكانت لضربات الطاعون العديد ومختلف الأوبئة خلال القرن الثامن عشر للميلاد(18م) الأثر السلبي



على تجارته من خلال إتباع لنظام الحجر الصحي أو مايسى بالكرنينة، فيمَ يتمثل هذا النظام الحمائي؟وماهي سيرة عمله ؟ وكيف أثر على التجارة المتوسطة للجزائر خلال القرن 18 م ؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا الوقف على العناصر التالية:

1.الواجهة المتوسطة مصدر للواء.

2.نظام الكرنينة، طبيعته وسيرة عمله؟.

3.حكمه .

4.أثره على التجارة الخارجية:

1.4 - مع مرسليليا.

2.4 - مع تونس.

3.4 - مع الدولة العثمانية.

4.4 - مع المغرب الأقصى.

وخاتمة.

1.الواجهة المتوسطة مصدر للواء.

الجزائر من أكبر المدن المتوسطة انفتاحا مقارنة مع العواصم المغاربية كتونس و فاس وتعاملها البحري أكثر نشاطا وحيوية من التعامل جهة اليابسة أي مع الداخل⁽³⁾، لذا فقد كانت عرضة لانتقال العديد من الأوبئة وهذا راجع بالأساس إلى مختلف الأنشطة التي تشهدها بحكم موقعها الجغرافي سواء النشاط الديني خلال موسم الحج أو النشاطات الاقتصادية التي كانت تخترق حدود الدول التي تتقاسم المتوسط رغم اختلاف خصوصياتها السياسية والثقافية والدينية (العالم الإسلامي أو المسيحي) ، أي حيز قائم بذاته نسجت الروابط التجارية وحركات التبادل التجاري بين مناطق وأرجائه وحدة اقتصادية عضوية⁽⁴⁾، فقد لعبت المدن المصرية خاصة الساحلية منها دورا هاما في انتقال العدوى باعتبارها محورا هاما للمرور مما جعلها



تشكل بؤرا للوباء وعلى رأسها الإسكندرية⁽⁵⁾ بواسطة الحجاج ومنها إلى موانئ شمال إفريقيا، لتتوغل إلى الجهات والمناطق الداخلية، وحتى السنوات التي يتم تسجيل الطاعون فيها بمصر فان بلاد المغرب تشهد نفس الوباء في نفس الفترة وهذا ماحدث في الوباء الذي أصاب مصر سنتي 1735-1736م ، فقد سجلت كل من مدينة الجزائر و تلمسان ووهران الوباء سنوات 1738 و 1740 و 1741⁽⁶⁾، مما استوجب عليها اتخاذ النظام الحمائي الذي كان معمولا به آنذاك في معظم الدول المتوسطية .

2. نظام الكرنطينة، طبيعته وسيرورة عمله.

1.2- الكرنطينة: هي مدة الحجر الصحي، وأصلها لاتيني من اللغة الاسبانية cuarentena، أي مدة أربعين يوما وهو الأمد الأقصى الذي يظهر فيها الوباء، لا يتم فيها مخالطة أحد حتى يتأكد الأطباء من سلامة الوافدين خوفا من العدوى⁽⁷⁾ ، وهو نظام احتماء تلتزمه الدول الأوروبية ويسمى بالكرنطينة ويعتمدون في هذه العملية على أن لهم قناصل في كل بلدة على ساحل البحر (وكلاء)، وظيفتهم أن كل سفينة تسافر من البلاد التي يكونون بها، لابد لها من تقرير مفصل يكتبه هؤلاء القناصل عن عدد من فيها بأسمائهم ومميزاتهم، مع تبين أمر الوباء: هل له أثر في تلك البلدة وما يجاورها أو دخل إليها مركب قادم من بلاد يوجد بها وباء أم لا؟ وبهذا التقرير يتم بناء كل احتمال، كما يتم تخصص مسؤول عن هذه العملية يكون مطاع ومن الناس الموثوق فيهم مرفق بمجموعة تساعد في اتخاذ القرار وتعيين أيام الحجر الصحي (الكرنطينة) بما يتناسب مع حالة السفينة⁽⁸⁾.

2.2- مدته: تجدر الإشارة الى أن الوافدين على متن السفن الملزمة بنظام الاحتماء هم على طبقات كالآتي:

- القادمون من أقرب المناطق: في في نهاية الرحلة فهم غير ملزمين بهذا النظام.



- القادمون من مناطق أبعد من الفئة الأولى: فهم ملزمون بنظام الاحتماء لأيام قلائل بحجة أنهم تخالطوا في طريقهم بعناصر أخرى وكنتموا عن ذلك.

- القادمون من بلاد لا تعمل بنظام الكرنيتينة: فهم ملزمون بنحو عشرين يوما أو أزيد.

- القادمون من بلاد بها وباء: لكن لم يمرض أحد منهم فهم ملزمون بشهرين أو أزيد مع الحذر الشديد باتجاههم.

- القادمون وفي سفينتهم مرض: ففي أغلب الحالات يتم طردهم ولا يتم قبولهم أو " يأمرهمم بالنزول مجردين من ثيابهم، فيحرقون السفينة بما فيها ويغرقونها على مابلغنا-ويغرمون ثمنها لأربابها من بيت مالهم ، ويعطون للقادمين ما يلبسون ويزلونهم في موضع لا يراهم أحد ، ويعينون معهم حراسا وخدمة ووراءهم حراس آخرون يحرسون من يليهم، ولا يختلطون بغيرهم فيكونون ثلاث طبقات ويجعلون لهم مدة ثلاث أشهر كرنيتينة وللطبقة الوسطى من الحراس شهران وللطبقة الثالثة شهر، فان مات لهم أحد أو مرض في تلك الثلاثة أشهر يحولونهم إلى محلا آخر" ليعاد النظام من جديد لمدة ثلاث أشهر أخرى، يتداوى فيها المريض ويصلح حاله، وان مات فهو يدفن في حفرة ويلقى عليه الجير، وان لم يمرض أحد مدة شهرين فيخفف عنه وذلك برؤية أهل البلاد والحديث معهم، وهي شروط لامسامحة فيها ولا مدهانة⁽⁹⁾.

3.2-الأمتهنة:من بين الأمتهنة الواردة مع القادمين مايلى:الصوف،الكتان والقطن والجلد،يتم إنزالها الى البر ويطبق عليها نظام الاحتماء ضعف مايطبق على صاحبها ويبتدأ حساب الكرنيتينة مع هؤلاء ابتداء من أول مفارقتهم لها ، على عكس المواد الأخرى كالخشب والحبوب والمعادن والمائعات وأنواع النباتات الذي لا ليفية فيه فلا كرنيتينة فيها .

مع العلم أن هذا النظام قد يطبق على داخل السفينة في حد ذاتها أو يتم إنزال المسافرين وتفريقهم على عدد من البيوت عليها خدم ، وعادة مايوضعون في أماكن واسعة وبسقوف مفتوحة يضعون فيها أمتهتهم لتتعرض للهواء حتى انتهاء المدة المقررة.

4.2-البنائية: يتم بناء سور محكم نوفيه طبّاخون ومطبخ، يقدمون الطعام والفرش وآلات السكنى بقيمة معلومة وأجرة معينة من غير الاختلاط بأحد، مع مراقبة شديدة للمسافرين،



يغلق عليهم الباب ليلا ولهم حمام فيه بيوت بمغاطس ساخنة لمن يريد ذلك بمقابل، دون الاختلاط بينهم ماعدا المتشاركين في عدد الأيام الموحدة بينهم، ولهم أبنية كثيرة كما أن لهم موضع في جهة المدينة يتقابل فيه أهل المدينة مع من لهم إليه حاجة شريطة عدم التماس بينهما تجنباً للعدوى، فيتكلمون ما شأؤوا لكن تحت رقابة الحارس خوفاً من تبادل الأشياء بينهما مع العلم أن المجموعة أو البيت الذي سجل فيه حالة وفاة يزيدون من عدد أيام الكرنينة⁽¹⁰⁾.

5.2- الفحص الطبي: آخر إجراء في نظام الكرنينة بعد انقضاء المهلة المحددة يأتي دور الطبيب ليفحص الجميع⁽¹¹⁾.

3. حكمه :

في البداية وجب الإشارة إلى أنه توجد اختلافات بين المذاهب نفسها في جواز العمل بالكرنينة من عدمه فمفتي الحنفية يجيز ذلك في حين مفتي المالكية يقر بحرمته، وقد أوردنا مثالا عن الجزائر خلال العهد العثماني فتطبيق نظام الكرنينة لا يتصادم حسب حمدان خوجة ، باعتباره لا تصادم أصلا من أصول الدين، بغير إضرار للقادمين وذلك مغتفر لعظم المضرة التي هم بصدد دفعها ويعم لضرر عند وقوعها، بل وأشاد في المقالة التاسعة للعمل بهذا النظام الوقائي بقوله: "ولما لا يتقدم مثل هذا النمط من الاحتماء للمسلمين، لم يكن للكرنينة اسم إسلامي ، ومجرد التسمية الفرنجية، لا يكون سنداً للأحكام الشرعية"⁽¹²⁾. وقد قدم في ذلك أدلة شرعية من آيات وأحاديث في الوباء تبيح الفرار من الضرر أو الوباء حكمها جواز نظام الكرنينة، وقد وردت الآية بصفة عامة في كل ضرر ويدخل في عمومها الوباء ومن ادعى التخصيص بغير الوباء لزمه البيان على قول حمدان خوجة⁽¹³⁾، ومن هذه الآيات نورد منها قوله تعالى: ﴿خذوا حذرکم﴾ الآية (71) من سورة النساء.



4. أثره على التجارة الخارجية.

شكل ظهور الأوبئة والمجاعات خطر على بعض الموانئ المتوسطية التي تتعامل مع الجزائر تجاريا مثل مرسيليا التي أدت الى تخوف القنصل لومير (lemaire) فقد أخبر في أحد رسائله إلى نواب الغرفة التجارية بمرسيليا والمؤرخة في 30 أفريل 1753 بأنه يهدد بالقتل كل من أخبر الاوروبيين بتطور الوباء وعدد ضحاياه خوفا على أن يؤثر ذلك على المصالح التجارية الخاصة، وقد قام بدفع المال لجواسيسه الذين كلفهم بتغطية أبواب المدينة من حيث المعلومات الخاصة بعدد الضحايا الذين يدفنون كل يوم. ومن هنا يتبين يقظة القناصلة الفرنسيين وتنبعهم لكل ما من شأنه أن يضر بمصالحهم⁽¹⁴⁾.

فقد كان لنتائج الأوبئة والأمراض تأثير كبير على الوضع الاقتصادي للمدن الجزائرية منها مدينة عنابة، اذ كانت تجتاح المدينة في فترات متلاحقة غير متقطعة طيلة العهد العثماني خاصة خلال القرن 18م بين سنوات 1756-1786م وهذا حسب التقارير التي كان يرسلها موظفوا الشركة الملكية الإفريقية إلى وكالاتهم بمرسيليا⁽¹⁵⁾. فالوباء يتسبب في حدوث شلل يصيب النشاط التجاري بسبب انتشار خبره فكلما ضرب الطاعون العاصمة وضواحيها إلا وكان اثر ذلك على عدد التجار والسفن القادمة إلى الجزائر، وبالتالي هو مساس بانتعاش اقتصاد المدينة بالدرجة الأولى فقد أدى ذلك بالكثير من الدول الأوروبية إلى اتخاذ إجراءات رسمية بموانئها من أجل إيقاف أي نشاط تجاري مع هذه المدينة فمثلا اصدر برلمان بروفانس قرار يتم بموجبه منع التجار الفرنسيين من الاقتراب من شواطئ البلدان المغاربية إبان طاعون 1688⁽¹⁶⁾، وقد أوردنا بذلك نماذج من الدول المتوسطية التي تعاملت مع الجزائر تجاريا منها:

1.4- مع مرسيليا:



كلما ضرب الطاعون العاصمة وضواحيها أثر ذلك على التجار والبواخر القادمة إليها مما أثر على انتعاشها الاقتصادي بالدرجة الأولى في ظل إغلاق الدول الأوروبية لموانئها باتخاذهم لإجراءات رسمية لإيقاف التعامل مع هذه المدينة، فمثلاً في طاعون 1638 م، أصدر البرلمان الفرنسي قرار بموجبه يمنع على التجار الفرنسيين الاقتراب من الشاطئ المغربي الممتد من مدينتي الجزائر وتونس ويطبق القرار أيضاً على البضائع والتجار القادمين من نفس المناطق⁽¹⁷⁾. وفي 31 جوان 1720م أصدر برلمان بروفانس قرار يعلن فيه مدينة مرسيليا مغلقة برا وبحرا بسبب ظهور الوباء بها ويتم العمل بهذا القرار لمدة ثلاث سنوات ولم يعلن رفع الحجر الصحي إلا في 30 جوان 1723م⁽¹⁸⁾.

2.4- مع تونس:

من بين الإجراءات الوقائية المتخذة لمنع انتشار العدوى هو إتباع نظام الكرنيتية حسب الوثيقة 45، خاصة على السفن الواردة إلى الجزائر ونورد مثال على ذلك ما صدر عن الرسالة التي بعث بها وكيل الجزائر بتونس الحاج عمار إلى إبراهيم وكيل الخرج بتاريخ 20 ربيع الثاني 1244هـ/الموافق لـ 30 أكتوبر 1828م وفيها أخبار عن مركب قادم من أزمير إلى تونس يدعى مركب (نامسة بزركان) فيه مجموعة من الحجاج ومعهم 26 من اليولداش الجدد واثنين من القدماء نزلوا بحلق الوادي إذ تكلم مع حاكم تونس ليخفف لهم عدد أيام الحجر الصحي بقوله: "وأما ماكان من أمرهم فاني تكلمت مع السيد حسين باي لينقص لهم كم يوم من الكرنيتيلة (والأصح الكرنيتينة) فأجابني الى ذلك والسلام...."⁽¹⁹⁾.

3.4- مع الدولة العثمانية:

تم تمديد مدة الحجر الصحي المفروض على البضائع الواردة من الجزائر وتونس إلى الدولة العثمانية من خمسة أيام إلى عشرة أيام ذلك بسبب استمرار تفشي وباء الكوليرا، وهذا



القرار لم يكن يخص الجزائر لوحدها وإنما شمل تونس وكذلك بعض الموانئ الأوروبية مرسيليا وإيطاليا وهذا بغرض تأمين الواردات المناطق المذكورة⁽²⁰⁾. وقد ورد اسم الجزائر في العديد من محاضر المجالس الصحية للدولة العثمانية باعتبارها منطقة حيوية للتعامل التجاري⁽²¹⁾، هذه المحاضر التي لاتزال محفوظة الى يومنا هذا في الأرشيف العثماني بتركيا⁽²²⁾.

4.4- مع المغرب الأقصى

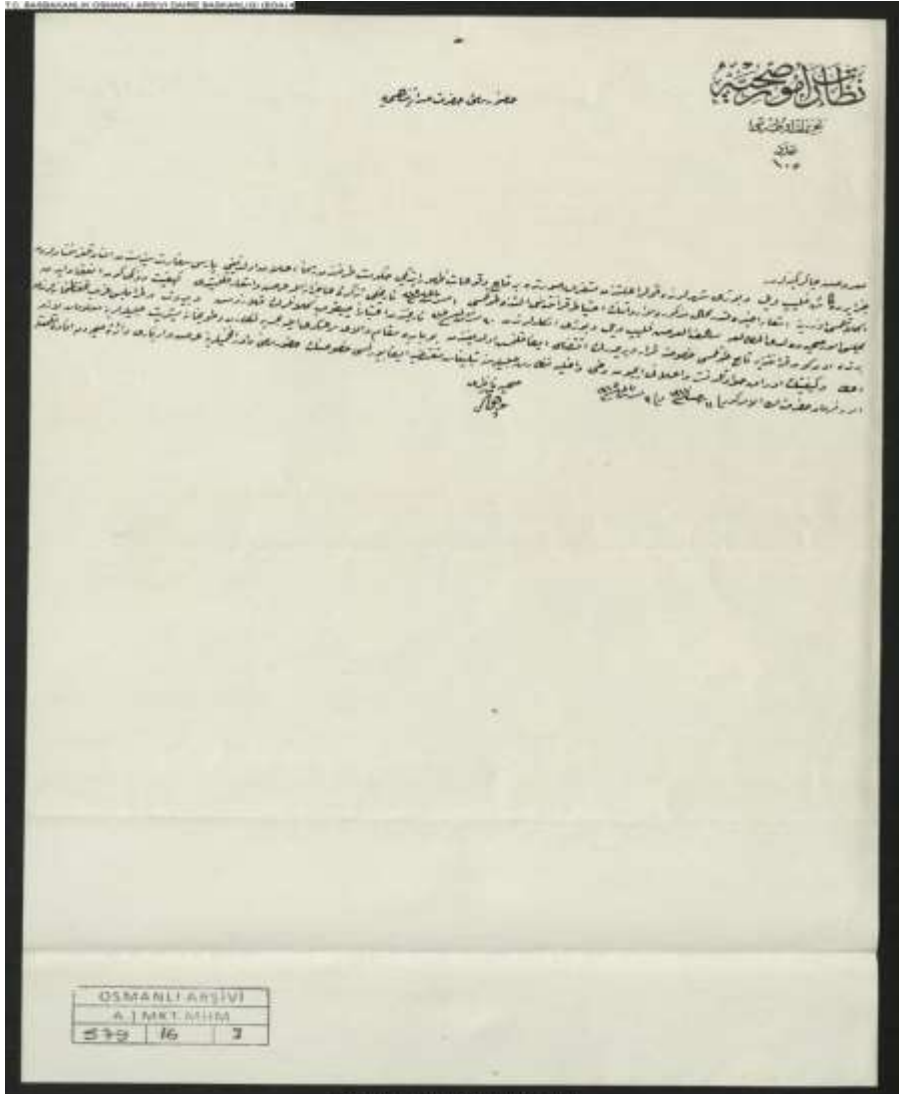
أدى انتقال العدوى من الجزائر الى المغرب الأقصى إلى فرض هاته الأخير حجرا صحيا عام 1797م خاصة على السفن القادمة من وهران ، وهذا يبين مدى الأثار التي خلفها وباء الطاعون على العلاقات التجارية الجزائرية-المغربية وتأثر البنيات الاقتصادية بين البلدين⁽²³⁾. وفي الختام نخلص أن هذا النظام الحمائي والاحترازي لعب دور الحزام الوقائي من الأمراض والأوبئة الآتية من مختلف الموانئ المتوسطية ، ورغم إعاقته للأنشطة الاقتصادية خاصة حركية التجارة الخارجية إلا أنه بقي أنجع وسيلة للحفاظ على البيئة الصحية للجزائر من الأمراض خلال القرن الثامن عشر رغم تضارب الأحكام الشرعية حول جوازه من عدمه ن وهذا في ظل غياب الدراسات الجادة والمتعلقة بالمعرفة وتاريخ الأمراض التي بقيت محدودة جدا، كنمط جديد ظهر مع التطور الحاصل في الكتابات التاريخية الحديثة إلى جانب الدراسات التي تعنى بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والطبيعي.

الملحق رقم 01: الجزائر في المجالس الصحية للدولة العثمانية.



نظام الكرنيتينة وأثره على التجارة المتوسطة للجزائر
حفيان رشيد، المجلد الثالث عشر، العدد 1، مارس 2022،

ص ص 309-320



المصدر: Osmali Arsivi, A.J MKT.MHM :579/16/3



الهوامش:

⁽¹⁾: ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ ابن خلدون (العبرو ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، مطبعة مصصحة اعتنى بها أبو صيب الكرمي، الرياض (السعودية)، بيت الأفكار الدولي، ص 144، وكذلك أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، (دط)، مطبعة أنفو، فاس، 2011، ص 45.

⁽²⁾: بروديل (فرنان)، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وإيجاز مروان أبي سمرا، ط 1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص 11.

⁽³⁾: Mohamed Amine, commerce extérieur et commerçants d'Alger à la fin de l'époque ottomane (1792-1830), thèse de doctorat soutenue à l'université de provence, Aix-Marseille 1, 1991.

: بروديل (فرنان)،... المرجع السابق، ص 11. ⁽⁴⁾

⁽⁵⁾-Lucette valenci, le meghreb avant la prise d'Alger. Paris, flammarion, 1969, pp, 20-21.

⁽⁶⁾: أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث... المرجع السابق، ص 49.

⁽⁷⁾: أنظر خوجة (حمدان)، إتخاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، محمد بن تحقيق عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص ص 138-140، كذلك: حدادي (أحمد)، أخبار الأوبئة والأمراض في الرحلات السفارية المغربية، مجلة كنانيش، ط 1، ع 3، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب الأقصى، صيف-خريف 2001، ص 45.

⁽⁸⁾: خوجة (حمدان)،... المرجع السابق، ص 137.

⁽⁹⁾: خوجة (حمدان)،... المرجع السابق، ص ص 137-139.

⁽¹⁰⁾: خوجة (حمدان)،... المرجع السابق، ص ص 139-140.

⁽¹¹⁾: نفسه، ص 142.

⁽¹²⁾: نفسه، ص 80.

⁽¹³⁾: نفسه، ص 81.

⁽¹⁴⁾: أمين (محمد)/الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م)، ط 1، دار كوكب علوم، الجزائر، 2016، ص 56.

⁽¹⁵⁾: سعيدوني (ناصر الدين)، الحياة الاقتصادية بعناية أثناء العهد العثماني، مجلة الأصال، العدد 34، مطبعة البعث، قسنطينة، 1976، ص 94-95.

⁽¹⁶⁾: I. bergasse, histoire du commerce de Marseille de 1599 à 1660 plon 1954, p38.

⁽¹⁷⁾: Idem, p62.

⁽¹⁸⁾: G. rambert, histoire du commerce de merseille de 1589 à 1789, paris, plon, 1954, t4, p609.



⁽¹⁹⁾ :حماش (خليفة)، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزء الأول: مراسلات وكلاء الجزائر في الخارج، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية-جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016، ص ص 229-230-231-234.

⁽²⁰⁾ :مشروع بحث TIKa: الجزائر في الوثائق العثمانية، تنسيق يوسف صاريناي، ترجمة فاضل بيات وبيشار محمد صالح الشريف، الترجمة العربية للوثائق زينب دراج و عبد الباسط المكي، دار الوراق للدراسات والنشر، الجزائر، 2018، ص 254.

⁽²¹⁾ :Osmali Arsivi,A.J MKT.MHM579/16/3.

⁽²²⁾ :ينظر نموذج من هذه الوثائق بالملحق رقم 01.

⁽²³⁾ : أمين(محمد)/الاختراق التجاري....، المرجع السابق، ص 51-52.